مدخل

اليوم الآخر في الديانات الوضعية

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : اليوم الآخر عند المصريين القدماء .

المبحث الثاني : اليوم الآخر عند الهنود (البراهمة) .

المبحث الثالث : اليوم الآخر عند الفرس .

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد

اليوم الآخر في الضمير البشري

بالبحث والتنقيب في ديانات البشر القديمة وعقائدهم الماضية وُجد أن الاعتقاد بخلود النفس سمة عامة وقاعدة مشتركة بين الأمم كلها. يقول الأستاذ «سيد قطب»: **«إن جميع الرسالات السماوية من لدن آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام قد تضمنت عقيدة اليوم الآخر مع تضمنها لوحدانية الله سبحانه»** (١).

فكل الأمم التي وجدت على ظهر الأرض منذ أن استخلف الله آدم فيها كانت تعرف شيئا عن الله، وكذلك تعرف المصير الذي ينتهي إليه أفرادها، وهذا ما تدل عليه البحوث الحديثة.

تثبت الدراسة المقارنة للأديان أنه وجد - حتى عند بعض القبائل المنعزلة - حسّ ديني، يدفعهم إلى المناقشة والتفكير في الأسئلة مثل: لماذا وُلدنا؟ وما هو الهدف من حياتنا؟ وما هي الغايات التي نخدمها ونسعى إليها؟ وأين سنذهب بعد الموت؟

يقول الدكتور «دراز»: **«إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليست هناك مجموعة إنسانية بل أمة كبيرة ظهرت وعاشت، ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان وفي مصيره وفي تعليل الكون وأحداثه»** (٢).

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن ص ١٤ للأستاذ سيد قطب، الطبعة السادسة الناشر دار المعارف ١٩٨٠.

(٢) الدين ص ٣٤ - الدكتور/ محمد عبد الله دراز الناشر مطبعة السعادة ١٩٦٩ م.

وهنا نجد أن القرآن الكريم يذكر أنه ما من أمة إلا وأرسل الله إليها نبيًّا ينذرهم ويعلمهم تعاليم الله التي على رأسها وحدانية الله وعقيدة اليوم الآخر.

ولكنَّا نجد أن كثيرًا من الأمم يعرض عندهم اليوم الآخر في صورة غير واضحة وليست على الصورة التي جاء بها أنبياء الله إلى تلك الأمم. والسبب في ذلك أنه كان يحدث بعد كل رسالة أن ينحرف الناس عن استقامة العقيدة، فيخلطوا بها أوشابا [١] من الوثنية وتصوراتها السابقة على الرسالات السماوية أو اللاحقة.

ومن هذه الأوشاب الخليطة كانت تتألف عقائد وثنية جديدة. وهذا ما يجده الدارس في كثير من الأصول العقائدية والأخلاقية التي أتت بها الرسالات السماوية لهذه الأمم.

وسوف نعرف فيما يلي:

* تصور الديانة المصرية القديمة لليوم الآخر والتفصيلات المختلفة التي اعتقدها المصريون القدماء.

* تصور اليوم الآخر عند الهنود وبخاصة من بين طوائفهم **«البراهمة»**.

* تصور اليوم الآخر عند الفرس.

وذلك وفقًا للترتيب التاريخي.

وسوف نقتصر في هذا التمهيد على هذه الديانات الوضعية الثلاث باعتبار أنها استوعبت اعتقاد كثير من البشر في فترات طويلة من التاريخ بما يصلح مدخلا لتقديم دراسة مقارنة عن:

«اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام».

* * *

(١) الأوشاب: الأوباش والأخلاط واحد وشب انظر القاموس المحيط جـ ١ ص ١٤٢ .

المبحث الأول

اليوم الآخر عند المصريين القدماء

كانت عقيدة الخلود تحتل مكانًا كبيرًا في نفوس المصريين، إذ إنه لا يكاد يوجد مصدر تاريخي عن المصريين القدماء إلا وفكرة الخلود والحياة بعد الموت تحتل مكان الصدارة فيه، لما لهذه الفكرة من أهمية بالغة. يقول المؤرخ اليوناني **«هيرودوت»**: **«إن المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس»** (١).

ويعلق صاحب كتاب الأدب والدين على عبارة **«هيرودوت»** بقوله: **«وعبارة «هيرودوت»** تشرحها الأعمال الدينية التي قام بها المصريون استعدادًا ليوم الحساب، فلقد كانوا يعتقدون بخلود النفس بعد الموت، وورد في النصوص المنقوشة على الأهرام والتي يرجع تاريخها إلى الأسر الأولى **«أن النفس خالدة لا تموت أبدًا»**، وفي كتاب الموتى أن الميت يقول: **«أنا لا أموت مرة ثانية في العالم الثاني. . .»** (٢).

ونحن مع هيرودوت في أن المصريين اعتقدوا بخلود النفس ولكنّا لسنا معه في أنهم أول الشعوب الذين اعتقدوا في الحياة الآخرة لأمرين:

الأمر الأول: أن المصريين ليسوا أول الشعوب التي وجدت على ظهر الأرض.

الأمر الثاني: أنه ما من أمة إلا وأرسل الله فيها نذيرًا يعلمهم العقائد الأساسية

---

(١) نقلاً عن الأدب والدين عند قدماء المصريين ص ١٠١ للأستاذ/ أنطون ذكرى أمين المتحف المصري - الناشر مطبعة المعارف ومكتبتها. الطبعة الأولى ١٩٢٣.

(٢) نفسه ص ١٠٧ .

التي منها عقيدة اليوم الآخر يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر :٢٤]. اللهم إلا إذا كان المؤرخ اليوناني يقصد أول الشعوب التي وصل إليه خبرها ودرس عقائدهم.

يقول «وول ديورانت» في معرض حديثه عن الديانة المصرية القديمة: **«وكان أهم ما يميز هذا الدين توكيده فكرة الخلود»** (١).

والذي يقرره «ديورانت» يؤكده «أدولف أرمان» بقوله: **«لئن كان الشعب المصري يختلف في شيء عن غيره من الشعوب فإنما ذلك في العناية التي كان يوجهها إلى موتاه»** (٢).

ويعتبر الشيخ «أبو زهرة» أن أروع ما في العقيدة المصرية القديمة اعتقادهم بالحياة الأخرى، وأنها الباقية بعد هذه الدنيا الفانية، فقد كانت الدنيا في نظرهم فترة قصيرة بعدها حياة لها أمد غير محدود، بل إن دنيانا ليست إلا ممرًّا إلى ذلك الخلود (٣). ولا يعني ذلك أنهم أهملوا الحياة الدنيا وتركوها، كلَّا، بل إن فكرة الحياة الآخرة سيطرت عليهم تماما. ومهما يكن من شيء فإن التاريخ نقل لنا صورة خلود النفس عند المصريين أوضح من سائر الأمم الأخرى.

وإن تغلغل عقيدة الخلود في نفوس المصريين هو ما يفسر لنا سر اهتمامهم بكل ما من شأنه أن يخلد ذكراهم أو يساعد في ظنهم على حفظ أجسادهم للحياة الأخرى، ولذلك يعزو صاحب كتاب الأدب والدين المقابر المصرية القديمة إلى أنه **«ليس حب التظاهر والكبرياء هو الذي جعل الأقدمين يصنعون قبورًا خالدة وأجسادًا غير قابلة للمحو والزوال، وإنما السبب الحقيقي هو اعتقادهم في خلود النفس في الحياة الآخرة»** (٤).

وهو تعليل مقبول إلى حدٍّ ما، إلا أننا لا نستطيع أن نلغي حب التظاهر والكبرياء

---

(١) قصة الحضارة – الجزء الثاني المجلد الأول ص ١٦٢ – ترجمة محمد بدران.

(٢) ديانة مصر القديمة – نشأتها وتطورها ونهايتها . تأليف أدولف أرمان – ترجمة الدكتور/ عبد المنعم بكر وآخرون – الناشر مصطفى البابي الحلبي.

(٣) مقارنات الأديان القديمة – الشيخ محمد أبو زهرة ص ١٦ الناشر دار الفكر.

(٤) الأدب والدين عند قدماء المصريين ص ١٠٧ .

من تفكيرهم أثناء اهتمامهم بتلك الأشياء، بدليل أنهم في فترة مبكرة جدًّا في تاريخهم كانوا يدفنون موتاهم في مقابر متواضعة قبل الأهرامات ومقابر الملوك.

يقول «الأنبا يؤانس» في حديثه عن اليوم الآخر لدى المصريين: «**وليست الأهرامات ومقابر الملوك والأمراء هي الدليل على ذلك، بل إن المصريين منذ فجر التاريخ اعتقدوا في البعث والخلود، فقد اكتشف العلماء مقابر منذ فجر التاريخ ووجدوا أن المصريين كانوا يدفنون الميت في تلك الفترة المبكرة جدًا من تاريخهم في وضع القرفصاء، ركبته قرب ذقنه، وهو الوضع الذي يكون عليه الجنين في بطن أمه**»[١].

ويستخلص «الأنبا يؤانس» من طريقة دفن المصريين القدماء موتاهم بهذا الوضع بأنه تعبير قوى على البعث، وأن الإنسان سيحيا ثانية كما خرج من أحشاء بطن أمه[٢].

والذي أريد أن أصل إليه هو أن المصريين اعتقدوا في البعث ودفنوا موتاهم في فجر تاريخهم بطريقة تشعر بأنه سوف يحيا ثانية، ولما تقدموا وتطورت حضارتهم أدخلوا عنصر التظاهر وحب الفخر والكبرياء مع اعتقادهم بالخلود والحياة الأخرى، فبنوا الأهرام وتركوا لنا هذه الآثار التي يقف الإنسان أمامها مبهورا من روعة بنيانها، ولا يمكن أن يكون المقصود منها حفظ الأحياء فقط ولكن إظهار القوى والفخر والكبرياء.

* * *

(١) السماء للأنبا يؤانس ص ٢٨ .

(٢) نفسه.

الأسس التي قامت عليها فكرة الحياة الآخرة عند قدماء المصريين

قبل أن نتحدث عن التفصيلات التي نقلت إلينا عن المصريين القدماء من ناحية تصورهم للبعث والحساب والميزان وكيفيته، والنعيم والعذاب نحاول أن نلقي الضوء على الأصول التي بنوا عليها الاعتقاد بالحياة الأخرى.

أولاً: إرسال الرسل:

في التصور الإسلامي نجد أن المصريين القدماء كجماعة بشرية عمرت الأرض فترة من الزمان، وكأمة من الأمم، أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، والقرآن الكريم يجزم بذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٤].

والنص القرآني يوضح أنه ما من أمة إلا وجاء إليها نذير أي نبي أو رسول يعرفهم بالله وأنهم سيرجعون إليه ليجازيهم عن أعمالهم. ويعتقد أن المصريين كأمة من الأمم أرسل الله إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، وعقيدة اليوم الآخر من الأصول التي يأتي بها كل رسول.

ولذلك فإن عقيدة المصريين في الحياة الآخرة مصدرها الوحي من الله عز وجل، وبتقادم الزمن نسي الناس العقيدة الصحيحة وانحرفوا عنها منقصين منها أو زائدين عليها، ولكن الأصل عندهم مرجعه إلى الوحي.

ولقد أخبرنا القرآن الكريم أن يوسف عليه السلام دعا المصريين إلى الوحدانية وإلى اليوم الآخر. ويقول تعالى على لسان يوسف ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧-٣٨].

ويعلق الأستاذ «سيد قطب» على هذه الآية بقوله: **«وذكر الآخرة هنا في قول يوسف يقرر أن الإيمان بالآخرة كان عنصرًا من عناصر العقيدة على لسان الرسل جميعًا منذ فجر البشرية الأولى، ولم يكن الأمر كما زعم علماء الأديان المقارنة أن تصور الآخرة جاء إلى العقيدة بجملتها متأخرًا. لقد جاء إلى العقائد الوثنية الجاهلية متأخرًا فعلًا، ولكنه كان دائمًا**

عنصرًا أصيلًا في الرسالات السماوية الصحيحة» [١].

ويقول الشيخ **«أبو زهرة»**: **«ويظهر أن صدى دعوة يوسف استمر أجيالًا يعمل في النفوس المصرية»** [٢]. فهناك تعاليم من الله على لسان الرسل، وانحراف من الناس عن هذه التعاليم.

ثانيًا: مظاهر الحياة الدنيا:

يذهب بعض الباحثين إلى أن الذي حدا بالمصريين لكي يعتقدوا في الحياة الأخرى أن هذه الدنيا معترك يتنازع فيه الخير والشر والبر والفاجر، وكثيرًا ما نرى في هذا المعترك الشر ينتصر على الخير والفساق على الأبرار، فلو لم يكن هناك يوم كله للخير وكله على الشر، يحاسب فيه المسيء على إساءته ويكافأ المحسن بإحسانه ما استقام العدل الإلهي، فمن العدالة أن يكون يوم آخر يكون للأبرار على الفجار، وللأطهار لا للأشرار، وأن تكون الحياة الباقية لينتصر فيها الخير وينتصف فيها من الشر [٣]. وهذا الرأي يرجع إلى الأساس الأول وأقصد به التعاليم التي جاءت إلى المصريين عن طريق الرسل إذ لا يمكن أن تكون مظاهر الحياة الصراع بين الخير والشر هو الذي ولد فكرة الحياة الأخرى عندهم، ذلك لأن الدين هو الذي يحكم على الأشياء بالخيرية أو الشرية، والوحي هو الذي رسخ هذه الفكرة في نفوسهم.

* * *

(١) في ظلال القرآن ص ١٩٨٨ جـ ٤ للأستاذ/ سيد قطب – الناشر دار الشروق الطبعة الثامنة ١٩٧٩.

(٢) الديانات القديمة ص ٨ .

(٣) الديانات القديمة ص ١٦، ١٧ .

تفصيلات ما بعد الموت

أولًا: البعث

اهتم المصريون بالبعث وما بعده اهتمامًا شديدًا، لدرجة أنهم ألّفوا كتابًا سموه **«كتاب الموتى»**، أودعوا فيه الأشياء التي إذا فعلها الميت ينجو من العذاب.

يقول **«وول ديورانت»**: **«وكان أهم ما يميز هذا الدين توكيد فكرة الخلود، فالمصريون يعتقدون أنه إذا أمكن أن يحيا النيل، ويحيا النبات كله بعد موتهما فإن في مقدور الإنسان أيضًا أن يعود إلى الحياة بعد موته»** (١).

ولكن المصريين رغم اعتقادهم بفكرة البعث وسيطرتها عليهم تصوروها بصورة حسية ساذجة، فهم يتصورون أن الميت حتمًا يحيا ويحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء من طعام وشراب.

ويقول الشيخ **«أبو زهرة»**: **«وكانوا يعتقدون أيضًا أن الميت أو روحه في العالم الآخر يحتاج إلى ما يحتاج إليه الأحياء في هذه الدنيا من طعام وشراب وما إلى ذلك من طعام الأحياء في الدنيا»** (٢).

وتعليقنا على ما أورده «ديورانت وأبو زهرة» يبرز أمرين:

الأمر الأول: أن اعتقاد المصريين بالبعث بعد الموت عقيدة سماوية، لا جدال في ذلك بعد الذي أوردناه من الآيات القرآنية التي تثبت إرسال نذير لكل أمة من الأمم.

الأمر الثاني: أنه بتقادم عهد الرسول كانت تختلط العقيدة السماوية بالأوشاب الوثنية فتضيف أشياء إلى العقيدة الصحيحة أو تنقص أشياء أخرى، كما فعل المصريون في تصورهم لتفصيلات ما بعد الموت.

---

(١) قصة الحضارة الجزء الثاني - المجلد الأول ص ١٦٢ .

(٢) الديانات القديمة ص ١٧ .

ثانيًا: الحساب والجزاء:

كما اعتقد المصريون في الحياة بعد الموت اعتقدوا كذلك في الحساب والجزاء، يقول الدكتور «غلاب»: «**فالمصريون هم أول قوم اعتقدوا ترتب الحياة الأخروية على الحياة الدنيوية**» (١).

ولا يأتي اعتقادهم هذا إلا بناءً على إيمانهم بالحساب والجزاء، فكانوا يعتقدون بالحساب على ما قدمه الإنسان في الدنيا والجزاء عليه، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، وإن كنا لا نميل إلى تعبير الدكتور «غلاب» السابق، لأن المصريين كما نعلم من التاريخ ليسوا أول الشعوب التي اعتقدت باليوم الآخر؛ إذ إن الاعتقاد باليوم الآخر جزء أساسي في دعوة الرسل، واعتقاد المصريين بالحساب عقيدة سماوية، ولكن صورته صورة حسية ساذجة، وقد ورد في كتب المصريين القدماء تفصيل الحساب والمحاكمة. يقول «أنطون ذكرى»: «يظهر الإنسان في الحال بعد الموت أمام محكمة «أسوريس» (٢)، لمحاسبته عما فعل من الحسنات واقترف من السيئات ليلقى الجزاء العادل» (٣).

والمصريون يتصورون محاسبة الميت أمام المحكمة على الوجه التالي: «**يرأس أسوريس الإله الصالح محكمة العدل الكبرى في تاووس، قائمًا في صدر القاعة المكلل سقفها بالقناديل وعلامات الحق، وأمامه أحفاده أبناء «حوريس» وآلهة أربعة أركان** العالم، ومعهم اثنان وأربعون قاضيًا بعضهم برؤوس بشرية، وبعضهم برؤوس حيوانية، وعلى رأس كل منهم سيف لقتل الخاطئ، ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر في كفتي الميزان الذي يزن الحسنات والسيئات، ومراقبين ذلك بكل دقة، وتطبيق نتيجتها على أقواله، وأما «أسوريس» وهو وحش يدعى باللغة المصرية «عممم» أي

---

(١) الفلسفة الشرقية ص ٥٨ الدكتور/ محمد غلاب بدون تاريخ.
(٢) لعلها أزوريس لأن كل الكتب تثبت ذلك.
(٣) الأدب والدين عند المصريين ص ١٠٧ .

المفترس، وأعضاء جسمه على أشكال مختلفة من جاموس البحر والتمساح والأسد، تراه متحفزًا إذا رجحت كفة ميزان الخطايا [١].

تلك صورة المحاكمة التي اتفق عليها - مع بعض الاختلاف في الألفاظ - معظم من كتب عن المصريين القدماء [٢].

دفاع الميت عن نفسه:

يدافع الميت عن نفسه ليثبت أنه كان طاهرًا أمينًا ويعدد بعض الصفات الحميدة وينسبها إلى نفسه لعله ينجو أمام المحكمة وترجح كفة حسناته.

يقول الشيخ «**أبو زهرة**»: وقد خاض المؤرخون في بيان الفضائل التي كانت تعد فضائل في نظر المصريين في هذا المقام، وقوام هذه الفضائل سلبي، ودعامته عدم إلحاق الأذى والضرر بغيره من الناس» [٣].

يقول: «**ديورانت**»: «**ومن الطرق الأخرى أن تعلن الروح براءتها من الذنوب الكبرى في صورة اعتراف سلبي**» [٤]، ويعلق ديورانت على هذا الاعتراف بقوله: «**وهذا الاعتراف من أقدم وأنبل ما عبر به الإنسان عن مبادئه الأخلاقية**» [٥].

وقد أورد كثير من الكُتَّاب الاعتراف الذي ننقله عن كتاب الأديان القديمة في الشرق نص دفاع الميت: «سلام عليك أيها الإله العظيم، صاحب الحق، إني جئت إليك يا رب خاضعًا أمامك لأعاين مجدك، إني أعرف اسمك وأسماء

---

(١) الأدب والدين ص ١٠٧ - وإنما اقتصرت على ما أورده أنطون ذكرى لأنه يعتبر متخصصًا في الديانة المصرية القديمة، وطبيعة عمله ساعدته على الاطلاع على كثير من الأسرار والمعلومات التي لم تتح لغيره، إذ إنه كان يعمل أمينًا للمتحف المصري.

(٢) انظر على سبيل المثال - قصة الحضارة - الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٢٦٤ وانظر كذلك ديانة مصر: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة ص ٢٥٥، ٢٥٦ ، وانظر كذلك الديانات القديمة ص ١٧، ١٨، ومقارنة الأديان اليهودية والإسلام ص ٤٩ - وقصة الديانات - سليمان مظهر ص ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١.

(٣) الديانات القديمة ص ١٧، ١٨.

(٤) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول ص ٢٦٤ .

(٥) نفسه.

الاثنين والأربعين قاضيًا الجالسين معك في قاعة الحق والعدل، لقد أتيت لك يا إلهي بالحق متخليًا عن كل خطيئة، فإني لم أظلم أحدًا، ولم أحنث في يميني،ولم أشته امرأة قريني، ولا مال غيري، ولم أكذب قط، ولم أخالف الأوامر، ولم أبع القمح بثمن باهظ، ولم أطفف الكيل، ولم أقتنص طيور الآلهة، ولم أطارد حيواناتها، ولم أصطد الأسماك المقدسة من بحيرتها، ولم أخالف نظام الري، ولم أتلف الأرض الزراعية، ولم أكن قوالاً ولا نمامًا، أنا طاهر، وبما أني مبرأ من الذنوب فأرجو أن أكون من الفائزين» [١].

وإن هذا الدفاع وما يحويه من فعل للفضائل واجتناب للرذائل يعطينا صورة واضحة عن الأخلاق ومدى الالتزام بها عند قدماء المصريين، ومن عجيب الأمر أن «ديورانت» يتناقض مع نفسه تناقضًا واضحًا عندما يقول تارة عن اعتراف الميت أما القضاة بأنه «من أقدم وأنبل ما عبَّر به الإنسان عن مبادئه الأخلاقية» [٢]، ثم يعود مرة أخرى فيسلب الأخلاق عن المصريين، ويزعم أن الدين لم يهذب أخلاقهم، فيقول: لقد كان الدين في مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه، فنحن نراه فيها في كل مرحلة من مراحله، وفي كل شكل من أشكاله من الطوطم إلى علم اللاهوت، ونرى أثره في الأدب وفي نظام الحكم وفي الفن وفي كل شيء عدا الأخلاق» [٣].

ثالثًا: الميزان وصدور الحكم:

من التفصيلات التي أوردها لنا من كتبوا عن المصريين القدماء:

الميزان الذي توزن به أعمال الميت الحسنة والأعمال السيئة «ثم يعرض على الميزان والمعبودة «معت» ممثلة الحق والاستقامة جاثية في كفته اليمنى، وقلب هذا الإنسان في كفته اليسرى رمزًا لأعماله، وهو المنوط به بتأدية

---

(١) الأديان القديمة في الشرق ص ٢٧١ الطبعة الثانية ١٩٨٣ - وبإمكاننا أن نرد كل هذه للفضائل التي عددها الميت في دفاعه عن نفسه إلى الإسلام بمعنى أن كل هذه الأشياء من الأوامر وليس من ابتكارات العقل المصري القديم.

(٢) ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الثاني - المجلد الأول ص ٢٦٤ .

(٣) نفسه ص ١٥٥ .

الشهادة عليه» [١].

وتكون استقامة لسان الميزان أو عدم استقامته الدليل على صلاح الميت أو فساده **«فإذا كان المتوفى صادقًا في دفاعه استقام لسان الميزان»** [٢].

وحينئذ يحكم للميت بالبراءة، «وإذ اتضح أن المتوفى من الصالحين الفائزين المبرئين من كل خطيئة، وأن قلبه وكل أعضائه طاهرة نطق «أسوريس» الإله الأبدي بالحكم النهائي فيقول له: فليخرج الميت فائزًا من قاعة العدل وليذهب حيثما شاء وتفتح له أبواب الجنة، ولتزفه جميع الآلهة ولا تتعرض له حراس السماء»[٣].

فإذا كان الميت شريرًا فإن حكم «أزوريس» عليه هو قوله:

اذهب أيها الشرير إلى الجحيم لتلاقي أشد العذاب، وأَمَرَّ النكال، وأنتم أيها القضاة، اقتلوه بسيوفكم، وتغذوا الآن من لحمه، واشربوا من دمه،وأنتن أيتها الأرواح الشريرة اضربنه بالحديد وأحرقنه بالنار،وأنت يا عمعم الوحش المفترس، قَطِّعه إربا إربًا [٤] وتغذّ من أحشائه.

فليفن جسدك أيها الخاطئ، ولتعدم نفسك، وليشطب اسمك من سفر الحياة، قد جعلتك غنيمة للأفاعي، وفريسة للوحوش الضارية.

وأنتم يا زبانية جهنم اسحبوه على وجهه إلى الجحيم، واقطعوا رأسه على خشبة المصّار، ومزقوا جسمه كل ممزق، وألقوه في أتون [٥] النار [٦].

---

(١) الأدب والدين ص ١١١، ١١٢ .

(٢) نفسه ص ١١١ .

(٣) الأدب والدين ص ١١١، ١١٢ .

(٤) الإرب جمعه آراب وهو العضو، وقطعته إربًا إربًا، أي: عضوًا عضوًا - الرائد تأليف جبران مسعود - ص ٧٣ - دار العلم للملايين ١٩٦٥ بيروت.

(٥) الأتون بالتشديد: الموقد وقيل حجارة تقام وتوقد فيها النار التي تصيِّر الحجارة كلًّا والعامة تخففه - مختار الصحاح ص ٤ للإمام الرازي طبعة دار المعارف بمصر وانظر الرائد ص ٣٠.

(٦) الأدب والدين ص ١١٢ - وانظر مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام.

رابعًا: مكافأة النفس ومجازاتها

الجنة والنار:

إن الإيمان بالحياة الآخرة عند المصريين تضمن الإيمان بالجنة والنار اللتين يجازى الميت فيهما، **«فالمصريون القدماء يعتقدون بخلود الروح، ويعتقدون بالثواب والعقاب والجنة والنار، وهي عقائد فطرية من جانب، ثم هي بقية من دعوة الأنبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها الطويل»** (١).

ونجد الجنة عندهم كالدنيا من ناحية المأكل والمشرب والملبس، غير أنها تختلف عن الدنيا بأنها خالية من البؤس والشقاء، **«أما الجنة فإنهم يرون أن الحياة فيها تشبه الحياة الدنيا من حيث الأكل والشرب والأولاد، ولكنها تخالف الدنيا بأنها باقية خالدة»** (٢).

وقد ورد طرف من نعيم الجنة الذي يتنعم به الميت بعد صدور الحكم بالبراءة من الذنوب بأمر الإله **«أزوريس»**، بأن يتقدم لذلك الميت **«المؤونة والقرابين والشراب، وليعط ثيابًا من الكتان الجيد، وليرد له قلبه، ولتوهب له حياة جديدة، وليجلس عن يميني في الفردوس السماوي»** (٣).

إن النعيم حسي كما هو واضح من النصوص المصرية القديمة، وذلك التصور للنعيم تختلف صوره، فبينما نجده في بعض النصوص مقصورًا على الطعام والشراب، نجده في البعض الآخر يتمثل في الحرية والزرع والحصد، وتصور بعض هذه النصوص الميت الذي حكم ببراءته بأنه **«يدخل ويخرج في العالم السفلي، ويسكن حقل ياور، ويقيم وقتًا في حقل الطعام ذلك المكان الفسيح ذي الرياح الكثيرة، حيث هو هناك قوي ممجد، وحيث يحرث ويحصد ويشرب ويحب ويفعل سائر ما كان**

---

(١) الأديان القديمة في الشرق ص٢٧١ - دار الشرق ١٩٨٣- الطبعة الثانية.
(٢) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص ٤٩ .
(٣) الأدب والدين ص ١١٢ .

يفعل على الأرض» [١].

هذا عن الجنة ونعيمها أما عن مكانها فإن المصريين القدماء اختلفوا في تحديد مكانها، فذهبت الدولتان القديمة الوسطى إلى أنها تحت الأرض أو خلف الجبل الغربي، حيث مغرب الشمس، أو في جزيرة السعداء في البحر الأبيض المتوسط، فلهم في ذلك مذاهب عدة [٢].

عذاب النار:

بعد أن يحاسب الإنسان أمام المحكمة ينطق الإله أزوريس بالحكم، فإذا كان من الأشرار يقول له. اذهب عني أيها الشرير إلى الجحيم. وهناك يلقى أشد العذاب الذي يتمثل في قتل الأشرار الذين حكم عليهم أزوريس، وأكل السباع من لحومهم، وهناك وحش مفترس يأمره أزوريس بافتراس الأشرار وتقطيعهم قطعًا متناثرة، وهناك ما يسمى بالزبانية يسحبون الأشرار على وجوههم إلى الجحيم، ويقطعون رؤوسهم، ويمزقون أجسادهم، ولا يقتصر الأمر عند عذاب الوحوش والزبانية، ولكن يأمر القضاة الذين حكموا عليه بكونه من الأشرار أن يقتلوه بسيوفهم، ويتغذوا من لحمه [٣].

وهكذا نجد الأشياء التي يخشاها الإنسان في الدنيا هي من بين الأشياء التي يهدد بها بعد الموت إذا كان شريرًا، ومن صور العذاب للأشرار أنهم لا يدخلون مملكة «أزوريس»، ولا يدخل الموتى الذين يخفقون في هذا الامتحان **«أي محاكمة الموتى»** في محكمة أزوريس، **«وفي هذا حد الكفاية من البؤس والشقاء، لأنهم يظلون في مقابرهم يضنيهم الجوع والعطش»** [٤].

---

(١) ديانة مصر نشأتها وتطورها ص ٢٦ .
(٢) الأدب والدين ص ١١٣ .
(٣) مقارنة الأديان ص ٥٠ بتصرف.
(٤) ديانة مصر القديمة – نشأتها وتطورها ص ٢٥٩ .

ولعل أبلغ تعبير عن تصوير البعث والحساب عند المصريين ما ذكره الدكتور «عمارة نجيب» بقوله: «**فالإيمان بالبعث والحساب حقيقة دينية، وصلت إلى المصريين عن طريق دين صحيح، لولا أن عبث بها الفكر الإنساني البشري، وخالطها التحريف فحوّل صورة البعث إلى خيال بشري، وحملها على مستوى الإدراك الحسي للبشر، فنزلت من مستوى الإدراك الإيماني السامي إلى هذه الصورة التي عرضت، وهي صورة ناقصة تدل على عجز العقل - حين يكون وحده بلا وحي - عن الوصول إلى حقائق هذه الأمور**»[(١)].

وبعد استعراض اليوم الآخر عند المصريين القدماء يمكن للباحث أن يخرج بهذه النتائج:

١- أن فكرة الحياة بعد الموت أو اليوم الآخر عند المصريين تعبر عن عقيدة راسخة، وترجع في أصلها إلى وحي ورسالة كانت لدى المصريين، ذلك أن المصريين كغيرهم من الأمم أرسل الله لهم رسلاً مبشرين ومنذرين، وهؤلاء الرسل كان لهم الفضل الأكبر في تذكير المصريين بالحياة الأخرى، ونعرف من هؤلاء الرسل إبراهيم ويوسف عليهما السلام، فقد هاجر إبراهيم إلى مصر، وعاش فيها فترة، وتولى يوسف خزائنها فترة كبيرة.

٢- أنه بتقادم الزمن امتزجت عقيدة اليوم الآخر عندهم بكثير من التصورات البشرية.

٣- وجوب تحليل الباحث للنصوص وردّها إلى التصور الإسلامي، وعدم الاعتماد على وجهة نظر الكتاب الغربيين أو الشرقيين، الذين يردون كثيرًا من المعتقدات الدينية عند المصريين إلى نبوغهم الفكري، وسبقهم العقلي، بعيدًا عن المصدر الأساسي لتلك العقائد وهو الوحي الذي رحم الله به الأمم فأرسل إليهم رسلا مبشرين ومنذرين، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ

(١) الإنسان في ظل الأديان ص ٧٢ - الدكتور/ عمارة نجيب - الناشر المكتبة التوفيقية - الطبعة الأولى ١٩٧٦ م.

إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٤] ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل :٣٦].

* * *

obeikandl.com

المبحث الثاني

اليوم الآخر عند الهنود

كما سبق أن أوضحنا عند الحديث عن الحياة الأخرى عند قدماء المصريين، نقرر هنا ما أورده الدكتور «دراز» في كتابه الدين بقوله: **«إن الحقيقة الكبرى التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليس هناك جماعة إنسانية - ناهيك عن أمة كبيرة - ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه»** (١).

والمصير الذي تفكر فيه الأمم إنما هو حالة الإنسان عندهم بعد الموت وثوابه وعقابه، والهنود من الأمم التي فكرت في مبدأ الإنسان ومصيره، وعللت ظواهر الكون وأحداثه. وسوف نقتصر في هذا المدخل على **«البراهمة»** - أقدم الديانات الهندية - محاولين الإشارة إلى عقيدتهم في تصورهم للحياة بعد الموت، ومصير الأرواح، وعلاقة الجزاء بالعمل والثواب والعقاب.

أولًا: علاقة العمل بالجزاء:

يعتقد الهنود الذين يدينون **«بالبراهمة»** أن: «جميع أعمال البشر الاختيارية التي تؤثر في الآخرين خيرًا كانت أو شرًّا لا بد من أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب، طبقًا لقاموس العدل الصارم، فنظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، وأن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، وأن من الطبيعة نوعًا من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه على عمله، ويكون الجزاء

(١) الدين ص ٣٤ للدكتور/ محمد عبد الله دراز - الناشر مطبعة السعادة ١٩٦٩ م.

في هذه الحياة» [١].

واتخذ هذا الاعتقاد عندهم صورة قانون عام، لا ينفك عن الإنسان بحال من الأحوال، وقرر الكهنة الهنود أن هناك قانونًا للحياة يقول: جزاء الخير خير مثله، وعقاب الشر شر مثله وهذا القانون اسمه «الكاراما» [٢].

وهذا الاعتقاد هو الذي ولد عند الهنود عقيدة التناسخ «**فعقيدة الهندي في أن كل عمل له جزاء جعلته يعتقد بتردد الأرواح في الأجسام حتى تكفر ما عليها**» [٣].

ثانيا: تناسخ الأرواح

يعتبر التناسخ للأرواح هو السمة المميزة لعقيدة الهنود. يقول «**البيروني**»: «**كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعد من جملتها**» [٤].

والتناسخ عند الهنود معناه:

أن الروح لا تفنى بعد الموت، وإنما تحاسب بأن تعود مرة أخرى لتلبس جسدًا آخر، جزاء لها على ما عملت من حسنات، أو اقترفت من سيئات، وقد نقل لنا «**البيروني**» في كتابه: «**تحقيق ما للهند من مقولة**» حوارًا بين اثنين من الهنود، يتّضح من خلاله عقيدتهم في الروح، ومصيرها بعد الموت.

يقول «**البيروني**»: «**حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئًا من صريح كلامهم في هذا الباب قال «باسديو لأرجن»** يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء

---

(١) أديان الهند الكبرى ص ٦٢ الدكتور أحمد شلبي.

(٢) الكاراما معناها العمل، وهي في هذه الحالة معناها العمل الذي لا بد منه في الحياة فهناك ناموس جامد للعلة والمعلول، وللعمل والجزاء أديان العالم حبيب سعيد ص ٧٩ .

(٣) قصة الديانات – سليمان مظهر ص ٥٥ .

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٩ لأبي الريحان بن أحمد البيروني. الناشر عالم المكاتب – الطبعة الثانية ١٩٨٣ .

السابق مؤمنًا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معًا بموتى ولا ذاهبين ذهابًا لا رجوع معه، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ثم العود. وقال له: كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود، لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم، بل هي ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغصها، ولا ريح تيبسها، لكنها تنتقل من بدنها إذا عتق نحو آخر ليس كذلك، كما يستبدل اللباس إذا خلق. فما غمك لنفس لا تبيد، ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود، فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكل مولود ميت، وكل ميت عائد وليس لك من كلا الأمرين شيء إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور» [١].

ويظهر من النص السابق بقاء الروح وعدم فنائها بعد الموت **«ولا نحن معًا بموتى ولا ذاهبين ذهابًا لا رجوع معه»** [٢].

فهم يعتقدون في رجوع الروح، ولكنه رجوع إلى أي شيء، إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا لتستقر فيه، جزاءً على أعمال صاحبها.

وعقيدة رجوع الروح هذه جعلتهم لا يكترثون كثيرًا بالحياة، وجعلتهم يستعذبون الموت ولا يخافون منه **«كيف ينكر الموت من عرف أن النفس أبدية الوجود»** [٣]، ولكن الشيء الذي تستقر فيه الروح لا يتجدد إلا بعد معرفة النفس هل هي شريرة أم خيرة؟

وبناء على معرفتها ومحاسبتها يتجدد الشيء الذي تحل فيه، ومن هنا كان اعتقادهم في الحساب.

---

(١) المرجع السابق.
(٢) نفسه.
(٣) نفسه.

ثالثًا: الحساب عند الهنود:

كما تصور المصريون القدماء الحساب تصور الهنود أن الحساب على الأعمال يكون بعد الموت مباشرة وكذلك الجزاء، ويعتقد الهنود **«أن الإنسان إذا مات ذهب به «زامون»** وهو من الزبانية إلى مجتمع القضاء، ويحمله مع المجتمعين فيه قائد مأمور إلى **«أتيرس»**، فأما النفس التي تشتهي الجسد، أو كان عملها شيئًا غير عدل ومشتهية بالأنفس القائلة هربت من هناك وتحيزت في كل نوع إلى أن يمر عليها أزمنة، فيؤتى بها ضرورة إلى السكن الذي يشبهها» [(١)].

والمسكن الذي يشبه تلك النفس السيئة هو أن تردد **«في النبات وخشاش الطير ومرذول الهوام وقذرها من القمل والدود»** [(٢)].

وأما النفس التي تبين أنها طاهرة **«فإنها تصادف مرافقين وقوادًا آلهة، وتسكن الموضوع الذي ينبغي»** [(٣)].

والسكن الذي ينبغي لمن استحق الاعتلاء والثواب من الأنفس هو **«أن يصير كأحد الملائكة مخالطًا للمجامع الروحانية غير محجوب عن التصرف في السماوات والكون مع أهلها»** [(٤)].

ولا شك لدينا أن فكرة الحساب والثواب والعقاب مصدرها الوحي عند كل الأمم ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر :٢٤].

ولا شك أيضًا أن الهنود كأمة من الأمم جاءها نذير من الله بالأصول العقائدية التي يأتي بها جميع الأنبياء، ومن ضمن تلك الأصول الإيمان بالبعث والجزاء.

والنصوص التي عرضتها عن الحساب والثواب والعقاب - كما يقول الدكتور

---

(١) تحقيق ما للهند من مقوله ص ٤٠ .

(٢) نفسه ص ٤٧ .

(٣) نفسه ص ٤٧ .

(٤) نفسه.

«عمارة نجيب» – «قد انحدرت وتراجعت في العقيدة الهندية حتى صارت على هذا النحو، فالموجود منها الآن صورة مشوشة لعقيدة البعث والإيمان بالجزاء الصحيح» [١].

رابعًا: الجنة والنار:

قد يتبادر إلى الذهن بعد أن استعرضنا عقيدة البراهمة في تناسخ الأرواح أنه لم يكن عندهم جنة ولا نار، ولكننا وجدنا أنهم يعتقدون في الجنة، ويعددون الجهنميات، وهذا على حد تعبير الدكتور **«عمارة نجيب» «مما يثير التساؤل ويبعث على الغرابة»** [٢].

يشرح **«البيروني»** عقيدتهم في الجنة والنار فيقول: **«المجمع يسمى «لوك»** والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة، فيسمى العالم الأعلى **«سفرلوك»** وهو الجنة، والعالم الأسفل **«تاكلوك»** أي مجمع الحيات وهو جهنم، ويسمى أيضًا **«تركلوك»** وربما سموه **«ياتال»** أي أسفل الأرضين، وأما الأوسط الذي نحن فيه فيسمى **«مارلوك»، «مانشرلوك»**، أي مجمع الناس، والأوسط للاكتساب، والأعلى للثواب، والأسفل للعقاب، وفي هذين الأخيرين يستوفى جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل، والكون في كل واحدة منهما للروح مجردة من البدن، وللعاجز عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم **«لوك»** آخر، يسمى **«ترجلوك»**، وهو النبات والحيوان غير الناطق يتردد الروح في أشخاصهما بالتناسخ، إلى أن ينتقل إلى الإنس على تدريج من **«أدون المراتب»** [٣] النامية إلى عليا المراتب الحساسة وكونها فيها على أحد وجهين.

الأول: إما لقصور مقدار المكافأة عن محلى الثواب والعقاب.

الثاني: وإما لرجوعها إلى جهنم. فعندهم أن العائد إلى الدنيا من الجنة متأنس في أول حالته، والعائد إليها من جهنم متردد من النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة

---

(١) الإنسان في ظل الأديان ص ١٩٦ – الناشر المكتبة التوفيقية.

(٢) نفسه ص ١٩٦ .

(٣) لعلها أدنى.

الإنسان» [١].

والنص يعني أن العائد من الجنة تحل روحه في إنسان، وأما العائد إلى الدنيا من جهنم فهو يتردد في مرتبة أدنى من الإنسان كالنبات والحيوان مدة معينة، حتى تكفر عنه سيئاته، فيرتقي إلى مرتبة الإنسان.

أما مقدار مكث الأرواح الخيرة في الجنة فتكون مدة كانت الأرواح فيها مثل المدة التي فعلوا فيها الخيرات، وتركوا المنكرات. أما الأرواح الشريرة فتنتقل إلى جهنم وهي المنزلة السفلى ثم بعد استيفاء الأرواح الخيرة مدتها في المرتبة العليا تنتقل إلى الإنسان، وكذلك الأرواح الشريرة بعد استيفاء مدتها في جهنم، تنتقل إلى الحيوان أو النبات أو الإنسان ثم تتدرج وتنقل إلى مرتبة أعلى.

وهنا يأتي التساؤل عن الشرير، هل ينال جزاءه في جهنم ثم يعود إلى الدنيا في جسد حقير؟ ولماذا يرجع إلى الجسد الحقير إذا كان قد نال جزاءه في جهنم؟ ومرد هذا التخبط يرجع إلى التدخل الفكري البشري القاصر على الوحي الإلهي الكامل.

ويلاحظ أن البراهمة لا يكتفون بجهنم واحدة، ولكنهم يعددون الجهنميات، وأكثر من ذلك يرون أن لكل ذنب جهنم خاصة به.

يقول «البيروني» «**وهم من جهة الأخبار يكثرون عدد الجهنميات وصفاتها وأساميها ويقررون لكل ذنب منها محلا وقيل في «يشن تيران» إنها ثمانية وثمانون ألفا**» [٢].

ومن النصوص التي وردت عنهم يتبين أن الثواب والعقاب عندهم في الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة عن البدن، ويكونان مؤقتين لأجل محدود لا دائمين [٣].

(١) تحقيق ما للهند من مقولة ص ٤٦، ٤٧ .

(٢) نفسه.

(٣) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٦٢ للدكتور/ عبد الواحد وافي الناشر – دار نهضة مصر ١٩٧١.

حل التناقض بين التناسخ وبين الجنة والنار في اعتقاد (البراهمة)

ذكرنا من قبل عقيدة التناسخ عند الهنود، وأنها سمة مميزة لهم كما يقول البيروني، وأن البراهمة بعقيدتهم في التناسخ اعتبروا **«أن الأرض دار جزاء وثواب»** [١].

ورأينا عندهم نصوصًا يذكرون فيها الجنة والنار والثواب والعقاب. وهذا الجمع بين التناسخ ووجود الجنة والنار **«مما يثير التساؤل ويبعث على الغرابة»** [٢] كما يقول الدكتور **«عمارة نجيب»**.

وأميل إلى أن البراهمة لم يجمعوا بين عقيدة التناسخ والجنة والنار في وقت واحد، وإنما كان اعتقادهم في الجنة والنار أولا، مع عقيدتهم في الوحدانية، ومما هو جدير بالذكر أن الهنود كانت عقيدة الوحدانية متغلغلة في نفوسهم.

يقول **«ماكس مولر»** الثقة الحجة في اللغات الآرية:

أيا كان العصر الذي تم فيه جمع الأناشيد المسطورة في الرجفيدا فقبل ذلك العصر كان بين الهنود مؤمنون بالله الأحد الذي لا هو بذكر ولا بأنثى، ولا تحده أحوال التخصيص من قيود الطبيعة الإنسانية، وارتفع شعراء الفيدا في الواقع إلى أوج إدراكهم لكنه الربوبية لم ينزق إليه مرة أخرى غير أناس من فلاسفة الإسكندرية المسيحيين، لكنه فوق هذا لا يزال أرفع وأعلى مما يطيف بأذهان قوم يدعون أنفسهم بالمسيحيين [٣].

وهكذا يتفق العلماء في نتائجهم مع ما قرره القرآن الكريم من أن الناس كل الناس في ضمائرهم اعتراف بالله الأحد، وأن الرسل جاءوا إلى أممهم بالدعوة إلى الوحدانية والإنذار باليوم الآخر.

---

(١) أديان الهند الكبرى ص ٦٥ .

(٢) الإنسان في ظل الأديان ص ١٩٦ .

(٣) الله - كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ص ٧٥ الأستاذ/ عباس محمود العقاد الناشر دار المعارف بمصر - الطبعة السادسة ١٩٦٩ .

ثم بتقادم الزمن انحرف الناس عن العقيدة الصحيحة إلى التصورات المنحرفة، وكانت أمة الهند من تلك الأمم التي انحرفت عن الوحدانية وعن عقيدة اليوم الآخر.

* * *

obeikandl.com

المبحث الثالث

اليوم الآخر عند الفرس

اعتقد الفرس كما اعتقد المصريون والهنود في حياةٍ أخرى بعد الموت، يحاسب الإنسان فيها على أعماله ويجازى، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر. يقول «الشهرستاني»: ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين اثنتين:

الأولى: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

الثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة. وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معادًا [١].

والأصل الثاني وهو المعاد اشترك فيه الفرس مع غيرهم من الأمم، فقد «**كانت البلاد الفارسية مسرحًا لكثير من الديانات، شأنها شأن الأمم التي شاركت في بناء اللبنات الأولى في الحضارة الإنسانية كالهند ومصر وبابل وآشور**» [٢]. وبعض هذه الديانات كما سبق أن أوضحنا عند المصريين والهنود احتلت فيها عقيدة الحياة الأخرى مكانًا بارزًا. وكانت ديانة الفرس أيضًا من الديانات التي احتلت فيها عقيدة الآخرة ذلك المكان البارز الواضح.

ويذهب الأستاذ «العقاد» إلى أن الفرس تأثروا بالمصريين والهنود في عقيدة البعث والجزاء، يقول: «**ولعلهم جمعوا بذلك بين عقيدة الهند في نهاية العالم وعقيدة المصريين في محاسبة الروح ووزن أعمالها في موقف الجزاء**» [٣]. ولكن الأمر ليس أمر

(١) الملل والنحل للشهرستاني ص ٥٩ جـ ٢ .
(٢) الله والإنسان ص ٢٣١ الأستاذ/ عبد الكريم الخطيب.
(٣) الله: كتاب في نشأة العقيدة الإلهية أ. العقاد ص ٨٨ نشر دار المعارف.

تأثر وتأثير حسب عقائدهم، وإنما هذا التشابه في التصور الإسلامي يرجع إلى إرسال الله رسلاً مبشرين ومنذرين إلى تلك الأمم، وهو التعليل للتشابه بين عقيدة الفرس والمصريين والهنود في الحياة الأخرى، وذلك قبل أن تنحرف تلك العقائد عن الدين الصحيح. ويرجع هذا التشابه أيضًا إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

تفصيلات ما بعد الموت

أولاً: حالة الروح:

اعتقد الفرس أنه **«لابد لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز قنطرة تصفى فيها»** [١] وهذه القنطرة مهمتها أن تميز الأرواح الطيبة من الأرواح الخبيثة، ولذلك **«فإن الروح تهب عليها ريح إما معطرة إذا كان الميت خيرًا، وإما نتنة إذا كان شريرًا، فتحمل إلى موضع يلتقي فيه إمّا بفتاة جميلة، وإما بعجوز مفزعة، وليست الأولى فتاة حقيقة ولا الثانية عجوزًا حقيقة، وإنما هي صورة أعمال الميت»** [٢].

ثانيًا: الحساب:

اعتقد الفرس في الحساب والميزان، وهي أشياء من بقايا العقيدة الصحيحة، ممزوجة بتصوراتهم البشرية، فتصوروا أن هناك **«معبرًا للحساب والحكم الأخير، وعلى باب هذا المعبر يوجد ثلاثة قضاة بينهم «ميتهرا»**، وهناك ينصب ميزان توضع في إحدى كفتيه حسنات الميت وفي الأخرى سيئاته» [٣]، وبناء على ترجيح إحدى كفتي الميزان يكون الثواب أو العقاب للميت، ولعلنا نلاحظ أن تصور الفرس هو نفسه تصور المصريين القدماء، وهذا يؤكد أن العقيدة في أساسها واحدة لكل الأمم، لأن النفس البشرية فطرت على الوحدانية ولوازمها من الاعتقاد في الرجوع إلى الله بعد الحياة الفانية.

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٤٣٤ - ترجمة محمد بدران.

(٢) الفلسفة الشرقية للدكتور: محمد غلاب ص ١٩٥ .

(٣) نفسه ص ١٩٦ .

ثالثًا: النعيم والعذاب:

النار هي عذاب الذين اقترفوا السيئات ولم تثقل موازينهم في الخير، ولذلك اعتقد الفرس أن **«الروح الخبيثة لا تستطيع أن تجتاز القنطرة، فتردى في درك من الجحيم يتناسب عمقه مع ما اقترفت من ذنوب»** [١]. هذا الجحيم الذي تسقط فيه الأرواح الخبيثة عبارة عن **«جحيم مظلم ظلامًا كثيفًا»** [٢]، أو هو عبارة عن **«بحيرة متقدة بالنار، يهوى فيها الذين زادت في ثقل الميزان سيئاتهم عن حسناتهم»** [٣]. ويعلل الشهرستاني سبب عبادة المجوس للنار وتعظيمهم إياها **«ظنهم أن التعظيم ينجيهم في المعاد من عذاب النار»** [٤]. أما النعيم فالسماء هي الجزاء للذين فعلوا الخيرات **«أما أنفس الأبرار الذين حرصوا على أحكام النبي** [٥] **ووصاياه فإنهم يجوزون سالمين إلى السماء** [٦].

وهناك رأي آخر يذهب إلى أن الأخيار **«يذهبون إلى النور، حيث يستقبلهم (أهورا مازدا) بعد أن يمروا في وسط العمل الصالح والقول الخير والفكر الطيبة، وهناك يستمتعون في كنف (مازدا) بالسعادة الأبدية»** [٧].

والسعادة الأبدية هي الجنة في اعتقادهم، وهذه الجنة تصوروها بصورة حسية ملموسة، وجنة **«زرادشت»** تقع أقصى شرقي جبال **«هيراميرازيته»** ويرتفع الجبل متجاوزًا النجوم إلى عالم النور اللانهائي، ويصل إلى جنة **«أهورا مازدا»** في منزل

---

(١) قصة الحضارة جـ ٢ ص ٤٣٤ .

(٢) الفلسفة الشرقية ص ١٩٦ .

(٣) أديان العالم - حبيب سعد ص ١٦٦ .

(٤) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٧٤ بهامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم الناشر مكتبة السلام العالمية.

(٥) يقصد المؤلف «زرادشت» ولسنا معه في إطلاق لفظ النبي عليه، لأنه لم يرد نص يوضح ذلك فضلاً عن أن «زرادشت» شخصية مختلف حول وجودها أصلاً عند كثير من الباحثين - انظر الشيعة الغالية وتأثرها بالأديان المغايرة للإسلام ص ٣٥٤ للباحث فتحي الزغبي.

(٦) أديان العالم - حبيب سعد ١٦٦ .

(٧) الفلسفة الشرقية ص ١٩٦ .

النغم وهو أم الجبال، وقمته سابحة في العزة الأبدية، لا ليل ولا برد ولا مرض [١].

ويعلق الدكتور «عبد الواحد وافي» على عقيدة الفرس في الحياة بعد الموت، مقررًا أن الفرس تؤمن باليوم الآخر والبعث والنشور والحساب والجنة والنار [٢].

وهذه الأمور من بقايا العقيدة الصحيحة التي جاء بها الأنبياء إلى الأمم ومنهم أمة الفرس.

* * *

(١) الأسفار المقدسة ص ١٤٦ ، ١٤٧ نقلاً عن القصة في الأدب الفارسي.
(٢) الأسفار المقدسة ص ١٤٦ .

obeikandl.com